

## مسيرة النهضة: رسالة في الوقت الضائع



الحبيب الأسود  
كاتب تونسي

وإذا اعتبرنا أن الالتزام العقائدي يجعل كل الإسلاميين يتجهون إلى الصناديق فإن من لم يصوت للتغلبين الإخوانيين لا يتبعهما بالضرورة، وليس كل من صوت لهما هو ملتزم بفكرتهما الحزبية والسياسية، باعتبار أن البعض انتخبهما لأسباب قبلية وجهوية أو لحسابات مصلحية مرتبطة خصوصا بعلاقة النهضة بالحكم. خلال الأشهر الماضية برزت ظاهرة الحزب الدستوري الحر تتشكل بقوة في البلاد وتتصدر كل استطلاعات الرأي حول نوايا التصويت، بما في ذلك الاستطلاعات السرية التي قامت بها حركة النهضة أو بعض الأطراف الخارجية المنحرفة بقوة في البلاد عبر منظمات المجتمع المدني.

**خروج النهضة إلى الشارع هو محاولة للرد على قيس سعيد ودعوات أنصاره إلى حل البرلمان، ولكنه كذلك محاولة لاستعراض القوى وترويجها خارجيا في مواجهة الحزب الدستوري الحر وزعيمته عبير موسى**

وبدل القراءة المتأنية لتلك النتائج كونها تكشف خيبة أمل التونسيين في النخبة السياسية التي تولت الحكم منذ عام 2011 وتصدت له بمنطق الهواية وتغليب المصلحة الغنائمية على المصلحة الوطنية العامة، وبحسابات المحاور الخارجية لا التصالح مع الواقع الداخلي، وبدل التعامل مع حقيقة أن شعارات الديمقراطية لا تطعم جاعا ولا تكسو عاريا، وأن الحزب الدستوري الحر إنما هو حزب تونسي ضارب في أعماق التاريخ المحلي، ويعكس خصوصيات المجتمع كما أرادت له دولة الاستقلال، وأن أغلب التونسيين غير قابلين لفكرة زعامة الأفكار المستوردة في عقولهم، تحاول النهضة الاستقواء بالشارع بالاعتماد على فكرة الحشد القطيعي التي تتخذ من شعار الدفاع عن الشرعية باعتبارها الغطاء السياسي لمصالح الجماعة دافعا إلى التجبيش.

هذا إضافة إلى ما يلزم من بهارات استنفار العواطف مثل الواجب الشرعي ونصرة الإسلام والدفاع عن فلسطين وصولا إلى شعار الاستمرارية على نهج الحركة الوطنية باستحضار مظاهرة الثامن من أبريل 1938 التي كانت تنادي ببرلمان تونسي وحكومة وطنية، والتي تظلمها الحزب الدستوري الجديد بزعمه الحبيب بورقيبة

ضد الاستعمار الفرنسي، وهو ما يعني أن الإخوان بين مقاومة احتلال أجنبي والخلاف مع طرف وطني. حركة النهضة تحاول الاستيلاء على المشتركات الوطنية، وخاصة تلك التي تعترف بها في قرار فكرها ومشروعها، فالديمقراطية ليست من نتاج العقيدة التي تستند إليها، ولا الوحدة الوطنية جزء من فلسفتها الأيديولوجية، ولا الحركة الوطنية من تراثها العقائدي أو العملي، وهي التي تشكك حتى في وطنية زعمائها وقادتها.

وكما حاولت الاستئثار بعد 2011 بقضية صالح بن يوسف الزعيم الذي تصارع مع بورقيبة صراعا على السلطة من داخل البيت الحزبي الدستوري الواحد تحاول هذه المرة السطو على حدث مفصلي في تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاستعمار وهو مظاهرة 8 أبريل، فقط لمناكفة عبير موسى وحزبها الدستوري الحر. وفوق ذلك اتجه الغنوشي إلى تحريض واشنطن على موسى من خلال مقال رأي في صحيفة "يو. أس. أي توداي" كان واضحا أنه موجه بالدرجة الأولى إلى إدارة باين والديمقراطيين، محذرا فيه مما ساءه موجة الشعوبية والرجعية والحزب إلى الدكتاتورية التي تهدد الديمقراطية في تونس.

هذا الوضع أكد مرة أخرى أن الإخوان لا يرون مانعا من الاستقواء بالأجنبي ضد مواطنهم، مقدمين أنفسهم على أنهم رعاة الديمقراطية وسفراء الليبرالية الجديدة التي يبدو أنها ستدفع بتونس إلى مازق اجتماعي حقيقي خلال المرحلة القادمة، وخاصة في حيث المواجهة مع النقابات، وذلك تحت بند الإصلاحات التي يراد لحكومة هشام المشيشي تنفيذها، لتجاوز الأزمة الاقتصادية التي جاءت كنتيجة لفشل الإسلاميين في الحكم.

خروج النهضة إلى الشارع هو محاولة للرد على قيس سعيد ودعوات أنصاره إلى حل البرلمان، ولكنه كذلك محاولة لاستعراض القوى وترويجها خارجيا في مواجهة الحزب الدستوري الحر وزعيمته موسى. غير أن الواقع يقول إن الآلاف أو عشرات الآلاف من المظاهرين لا تعطي شرعية حقيقية لصاحبها خصوصا عندما يتم حشدها من قبل حزب حاكم لديه القدرة على استعمال أجهزة الدولة وأموال المتربعين.

وحتى لو استطاعت النهضة جمع كل من صوتوا لها في الانتخابات الأخيرة، أي أكثر من نصف مليون متظاهر، فإن ذلك لا يعني أكثر من أنها أخرجت أنصارها للدفاع عن مشروعها، لكنه لا يعني أنها تمتلك الشارع أو تتزعم المجتمع، وإنما يعني أنها توجه رسالة إلى من يهمه أمرها، ولكن في الوقت الضائع، وبذلك فهي تمارس حالة انفجار للأطراف الأخرى لترد عليها، وبشكل قد يكون صادما لها.



## التدويل و«مارشال» للبنان: بكركي والفاتيكان والانتشار



أسعد الخوري  
كاتب لبناني

البابوي في لبنان ودوائر الفاتيكان الخارجية لتسريع عملية إنقاذ لبنان، حيث تتداعى المبادرات الداخلية والخارجية وتسقط، كان لبنان صار متروكا لقدره.

ممثل الأمم المتحدة السابق في لبنان يان كوبيتش لم يصمت يوما، كان دوما فاعلا ومؤثرا للطبقة السياسية الحاكمة قبل انتقاله من بيروت بأيام. هو شكل صلة وصل أساسية بين بكركي والمنظمة الدولية، وكان أحد داعمي بكركي لصياغة وطرح مبادراتها الدولية بهدف إنقاذ لبنان.

لقد أعلن الراعي صراحة أن "شعبنا يحترق والدولة ضمير ميت"، مؤكدا أن "جميع دول العالم تعاطفت مع شعب لبنان إلا دولته.. فهل من جريمة أعظم من هذه؟".

يحاول الفاتيكان أن يعطي بعدا علمانيا داعما لخطوات البطريرك الراعي في دعوته البارزتين: الحياض الفاعل والإيجابي من جهة، والمؤتمر الدولي من جهة أخرى.

البابا فرنسيس دعا خلال استقباله أعضاء السلك الدبلوماسي الأجنبي المعتمدين في الفاتيكان، إلى

**الكرسي الرسولي لا يمكنه أن يترك لبنان مجرد ورقة في مهب الرياح الدولية، بل يعمل جاهدا على تجسيد وتفعيل «وصية» البابا يوحنا بولس الثاني بأن «لبنان أكثر من وطن.. هو رسالة»**

لا تنكر مصادر الصرح البطريركي أن الدولة اللبنانية عاجزة. على إنقاذ لبنان الذي يعاني من أمراض وأزمات وتعصف بكيانها، وصولا إلى سلاح منفلت حيث تسود شرعية الأقوى في جمهورية فقدت "الحسن" الحقيقي بالمسؤولية، حتى انفجار مرفأ بيروت وتدمير نصف العاصمة لم يدفعا الدولة إلى حزم أمرها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

لا يمكن للكرسي الرسولي أن يترك لبنان مجرد ورقة في مهب الرياح الدولية، بل يعمل جاهدا على تجسيد وتفعيل "وصية" البابا يوحنا بولس الثاني بأن "لبنان أكثر من وطن.. هو رسالة". وينسق بابا الفاتيكان اليوم مع فرنسا والرئيس إيمانويل ماكرون وأيضا مع بكركي، يساعده في كل ذلك السفير

تجديد الالتزام السياسي الوطني والدولي من أجل تعزيز استقرار لبنان، الذي "يمر بأزمة داخلية والمعرض إلى فقدان هويته وللمزيد من التورط في التوترات الإقليمية". الظاهر أن البابا فرنسيس لا يكتفي بذلك، بل يؤكد على ضرورة الحفاظ على لبنان وعلى هويته الفريدة، من أجل ضمان شرق أوسط متعده ومتسامح ومتنوع.

البطريرك الراعي يدرك أن قوى لبنانية عديدة وفاعلة في دول الانتشار اللبناني تتحرك هي الأخرى مع الفاعلين السياسيين البارزين في الدول التي تحتضنها، للعمل على مساعدة لبنان وإنقاذه من الانهيار والتفكك. هذه القوى تتلقى مع دعوة البطريرك الراعي إلى عقد مؤتمر دولي لإنقاذ لبنان.

البروفسور فيليب سالم، الطبيب والكاتب السياسي اللبناني الذي يعيش منذ عقود في الولايات المتحدة ويعرف أصحاب القرار ويؤثر في قراراتهم، وجه في أوائل نوفمبر 2020 رسالة إلى الكونغرس الأمريكي، دعا فيها واشنطن وعواصم الغرب إلى عقد مؤتمر دولي حول لبنان في باريس (الرسالة نشرتها جريدة الجمهورية البيروتية بتاريخ 11-11-2020)، من أجل تحقيق جملة من الأهداف.

أولى تلك الأهداف صياغة "خطة مارشال" لإعادة بناء المباني والبنية التحتية المدمرة إثر انفجار مرفأ بيروت، وإنعاش الاقتصاد ومنع لبنان من الانهيار والتفكك، إلى جانب وضع إطار سياسي وأمني دولي لفرض الاستقرار والسلام، وقيادة لبنان في جهود إعادة البناء برؤية متجددة لإنهائهم لبنان من تحت الإنقاذ، بحيث يمكن أن تشرّف الأمم المتحدة على هذا الجهد.

وكذلك السعي إلى ضمان "حياض لبنان الفاعل" من خلال مجلس الأمن الدولي، حيث أن الشعب اللبناني في معظم الأحيان هو ضحية صراعات الآخرين والأنظمة السياسية المعادية التي سعت للسيطرة على مصريره.

هكذا دعا فيليب سالم في رسالته إلى الكونغرس الأمريكي عواصم الغرب والأمم المتحدة كي لا تدبر ظهرها إلى لبنان، أو أن

تتركه "يذبل وينهار ويموت". هذا في أساس ما تدعو إليه بكركي التي تريد عودة لبنان منارة للتسامح والحرية والبناء.

